الفصل الحادى عشر

شراذم الإلحاد الجديد

- **ـ ستيفن هوكنج**
- ـ التصميم العظيم
- **ـ دانييل دينيت**
- ـ فكرة دارون الخطيرة
- ـ إبطال السحر
- ـ حجة دينيت
- **ـ سام هاريس**
- ـ نهاية الإيمان
- ـ خطاب إلى أمة مسيحية
- **ـ كريستوفر هتشنز**
- ـ الإله ليس عظيما
- **ـ القارئ الكريم: وشهد شاهد من أهلها**
- ـ الإلحاد المنطقى

«ليس الجديد فى الإلحاد الجديد عدوانيته ووقاحته فقط، أو الترويج له إعلاميًّا، أو التناول العلمى للدين، ولكن أشد الجديد ظهورًا هو مهاجمة الممارسات الإسلامية بل والإسلام ذاته»

وليام إيمرسون [1]

يُطلَق اصطلاح «الإلحاد الجديد New Atheism» فى الغرب على الأفكار التى طرحها مجموعة من الكُتاب الملاحدة، والتى تتبنى أنه لا يكفى التعايش بين الإلحاد والدين، بل **ينبغى مهاجمة الألوهية والمفاهيم الدينية ونقدها وطرحها للتحليل العلمى والموضوعى**. وفى سبيل ذلك، تبنت هذه الموجة **التفسير المادى/الطبيعى لكل الظواهر** ابتداء من نشأة الكون حتى المشاعر الروحية للإنسان.

وقد شهدت الفترة بين عامى 2004 - 2007 تكثيفًا للكتابة والتأليف فى هذا المجال. وأشهر هؤلاء الكُتاب تلك المجموعة التى أُطلق عليها عام 2007 اسم **الفرسان الأربعة**، وتشمل البيولوجى ريتشارد دوكنز، والفيلسوف دانيل دينيت، وطبيب الأعصاب سام هاريس، والإعلامى كريستوفر هتشنز. وقد أُلحق بهؤلاء مجموعة أخرى[2] أهمهم عالم الفيزياء الرياضية ستيفن هوكنج الذى أنكر الألوهية مؤخرًا.

---

(1) William Emirson: (1923 - 2009)، الإعلامى الأمريكى الشهير المهتم بحقوق الإنسان.

(2) يُلحِق الإعلام الغربى بالإلحاد الجديد ثلاثة أشخاص آخرين جاء ذكرهم وبعض آرائهم خلال فصول الكتاب، وهم:

1- فيكتور ستنجر Victor Stenger: عالم فيزياء الجسيمات الدقيقة الأمريكى، ومؤلف مهتم بتبسيط العلوم، وهو يُصنف كشكاك. ولد عام 1935.

2- لورانس كراوس Lawrence Krauss: ولد بالولايات المتحدة عام 1954، وهو أستاذ فى الفيزياء الرياضية، ويستعين دوكنز به كثيرًا فى برامجه الإعلامية.

3- أ.ك. جرايلنج A.C. Grayling: فيلسوف بريطانى مهتم بالإنسانيات، ولد عام 1949.

وفى عـام 2010 كتب الإعلامـى الكبير توم فلـين[1] مقالًا وضع الإلحـاد الجديد فى حجمه الحقيقى، جاء فيه: ينبغى أن ندرك خطأ ما يثار حول حركة الإلحاد الجديد، فهى **ليست جديدة، ولا هى حركة**! الجديد هو إثارة عاصفة عن طريق تركيز **ناشرين كبار** على طباعة وتسـويق عدد كبير من الكتب، حتى قرأها الملايين واحتلت قوائم أعلى المبيعات.

ولا شـك أن الإلحـاد الجديـد لـه **أبعـاد سياسـية**، من أهمهـا **الترويـج للخوف من الإسـلام واضطهاده (الإسلاموفوبيا** Islamophobia). فكتابات مجموعة الأربعة **تنضح بكراهية شديدة للإسلام، كما تسـتخدم مفاهيم صامويل هنتنجتون فى كتابه صراع الحضارات**[2] The Clash of Civilisations لتأصيل العداء للإسلام فى نفوس الشعوب. ويقول ويليام إيمرسون مشيرًا لهذا المعنى؛ ليس الجديد فى الإلحاد الجديد عدوانيته ووقاحته فقط، أو الترويج له إعلاميًّا، أو التناول العلمى للدين، ولكن أشد الجديد ظهورًا هو مهاجمة الممارسات الإسلامية بل والإسلام ذاته.

إننى أرفض بشـدة وصـف الإلحاد الجديد **بالإلحـاد العلمى**، فهو وصف لا يسـتحقه. فهؤلاء الكُتَّـاب وإن كانوا يتناولون القضايا العلمية فتناولهم أبعد مـا يكون عن المنهج العلمى المنزه عن الغرض. كذلك فإننى أرفض وصف أوقح أربعة من شراذم هذا الاتجاه بأنهم **الفرسان الأربعة** The Four Horsemen، فاصطلاح الفارس يُستخدم فى جميع اللغات للإشارة إلى الرجل الشهم الذى يهب حياته للدفاع عن الحق والوقوف فى وجه الباطل. من ثم، فإن وصف هؤلاء الملاحدة بالفرسان أسـلوب إعلامى للانتقاص من الديانات وإظهار أنها فى جانب الباطل، بحيث يخسر الدين معركته مع الإلحاد من قبل أن تبدأ.

ولمـا كانت هذه الشـخصيات الإلحادية تتبنى مـا طرحنا من أفـكار فى البابين الأولين، كما تتفق مع ريتشـارد دوكنز فى أفكاره التى طرحناها فى الفصل السابق، فسنكتفى فى هذا الفصل بالحديث بإيجاز عن أشهر كتبهم التى حرص الإعلام الغربى على الإشادة بها، حتى نضع أيدينا على **منهج كل منهم وعلى الفوارق الضئيلة بينهم**.

(1) Tom Flynn: الكاتب والإعلامى الأمريكى، رئيس مجلس حقوق الإنسان بالولايات المتحدة. ولد عام 1955.

(2) أخذت **نظرية صراع (صدام) الحضارات** شـهرتها بعد انهيار الاتحاد السـوفييتى عام 1990 وبروز الولايات المتحدة كقـوة عظمـى وحيدة فى العالم. وتركـز النظرية على أن ما يحكـم العلاقة بين حضارات العـالم المختلفة (الصينية ـ اليابانية ـ الهندية ـ الإسلامية ـ الغربية ـ الأرثوذكسية) فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة هو الصراع.

ستيفن هوكنج[1]

لا شك أن ستيفن هوكنج قد حقق **شهرة عالمية كبيرة**، وذلك لنبوغه فى تخصصه وهو الفيزياء النظرية، وأيضًا لتعاطف العالم مع ما أظهره من قوة إرادة وعزيمة فى مواجهة مرض شديد معجز أصيب به فى بدايات شبابه، حتى صار مثلًا أعلى وقدوة للكثيرين.

وإذا كان ستيفن هوكنج قد شغل لسنوات كرسى الأستاذية الذى شغله إسحق نيوتن فى جامعة كمبردج فشتان بين الرجلين فى موضوعيتهما الفكرية وفى عمق نظرتهما الفلسفية. لذلك لا عتب علينا أن نحلل **أفكار هوكنج** الفلسفية ونعترض عليها، طالما بقينا بعيدين عن مجال **تخصصه العلمى** الذى لا قِبَل لنا به.

لسنوات طويلة، ترك هوكنج الباب للسؤال حول الإله مفتوحًا. ففى ختام كتابه «**تاريخ موجز للزمن**»[2] كتب يقول:«إذا اكتشفنا النظرية الجامعة لقوى الفيزياء سنكون قد حققنا انتصارًا كبيرًا للعقل البشرى، وعندها **سنكون قد فهمنا عقل الإله**». فرح المتدينون بذلك الرأى واعتبروا هوكنج عالمًا مؤمنًا، واستشهدوا برأيه على صحة موقفهم. وفى كتابه الأخير «**التصميم العظيم**»[3] بَدَّل هوكنج موقفه وأعلن أنه «**لم يعد هناك مجالًا للقول بوجود الإله**»[4]، عندها انتشى ريتشارد دوكنز وأعلن أنه «إذا كان دارون قد ألقى بالإله بعيدًا Kiched Out عن علم البيولوجيا، فقد ظل له موضعًا فى الفيزياء حتى أخرجه منها ستيفن هوكنج». هل دعوى دوكنز صحيحة؟ فلنرى.

التصميم العظيم The Grand Desing

فى كتابه «**تاريخ موجز للزمن**»، ذكر هوكنج أن الأحداث التى صاحبت وأعقبت الانفجار الكونى الأعظم كانت **تخرق قوانين وثوابت الفيزياء**، مما احتاج إلى التدخل الإلهى. ثم بَدَّل

(1) Stephen Hawking: جاء التعريف به فى الفصل الرابع.

(2) A Brief History of Time، صدر عام 1998.

(3) The Grand Design، صدر عام2012، وشارك فى تأليفه الفيزيائى ليونارد ملودنيو.

(4) سنطرح بعد قليل سبب تغييره لموقفه.

هوكنج رأيه فى كتاب «**التصميم العظيم**» وأعلن أن **قوانين وثوابت الفيزياء التى نعهدها قادرة على إيجاد وتشكيل الكون**، ومن ثم لا حاجة للقول بوجود الإله. انظر إلى قوله: لأن هناك قانون كقانون الجاذبية فقد **خلق الكون نفسه من عدم**[1]! إن هذا الطرح يتماشى مع ما فى مفاهيم دوكنز الإلحادية من مغالطات منطقية علمية خطيرة، منها:

أولًا: يقع هوكنج فى نفس الهوة التى يتردى فيها معظم الملاحدة و إن احتلوا مراكز علمية مرموقة، وهو **اعتبار أن ما يمكن تفسيره بقوانين الطبيعة ليس بحاجة إلى وجود إله**. إنه الخلط الساذج بين الإله الخالق (كسبب أول) وبين قوانين الطبيعة (كآلية). إن ذلك يشبه أن تختار لتفسير عمل المحرك النفاث بين قانون الدفع لنيوتن[2] وبين مصمم المحرك المهندس العبقرى سير فرانك ويتل[3]. إن الاختيار بين الآلية وبين السبب الأول خطأ منهجى بَيِّن، فأنت هنا **تختار بين «مستويات مختلفة» وليس بين «بدائل»**. وهذا الخطأ يُعرف فى المنطق **بالخطأ الطبقى** Category Error.

لم يقع سير إسحق نيوتن فى هذا الخطأ الساذج. فعندما اكتشف قانون الجاذبية لم يقل: الآن توصلت إلى قانون الجاذبية، لم أعد بحاجة لوجود الإله. لكنه كتب أشهر كتاب فى تاريخ العلم «قواعد الرياضيات Principia Mathematica» وسجل فيه: **أتمنى أن يقنع هذا الكتاب الإنسان المفكر بالإيمان بالإله**.

إن قوانين الطبيعة تشرح للإنسان **كيف يعمل المحرك النفاث**، لكن لا تنفى أن **هناك من ابتكر هذا المحرك**، فلا شك أن قوانين الطبيعة لم تقم بهذا العمل، **بل إن القوانين نفسها احتاجت لمن يكتبها ويخرجها إلى الوجود ويمدها بفاعليتها**. كما أن هناك **المادة** (وهى أهون الأمور) التى انطبقت عليها هذه القوانين والتى استخدمها سير وتيل فى صنع المحرك، ولا شك أن هذه المادة لم تنتجها قوانين الطبيعة.

نحن هنا أمام ثلاثة أمور (**السبب الأول ـ المادة ـ القوانين التى تحكم سلوك المادة**) ولا شك أن القوانين عاجزة بذاتها عن فعل أى شىء، فهى ليست إلا توصيف رياضى لما يمكن أن

(1) P. 180

(2) لكل فعل رد فعل مساوٍ له فى القوة ومضاد له فى الاتجاه. ويعتمد عمل المحرك النفاث على هذا القانون.

(3) Sir Frank Whittle: (1907- 1996)، ضابط مهندس بالسلاح الجوى الملكى البريطانى، مخترع المحرك النفاث.

يحدث تحت ظروف معينة[1]. إن **القانون الرياضى** يقول لك ـ ببساطة ـ إذا كان لديك (أ) فإنك ستحصل على (ب)، لكن ينبغى أن يكون لديك «أ» أولًا. إن تصور أن قوانين الطبيعة قادرة على إنتاج المادة/الطاقة وعلى كتابة وتفعيل ذاتها إنما هو **خيال علمى سقيم**.

وفى كتابه «تاريخ موجز للزمن» كان هوكنج متنبهًا لهذه الحقيقة ـ قبل أن يتنكر لها فى كتابه التصميم العظيم ـ فقال: إن توصل العلم لقوانين الفيزياء لا يعنى أن هذه القوانين هى التى أنشأت الكون، ولا يجيب بالتبعية عن سؤال لماذا يوجد كون فى الأصل. هل إذا توصلنا إلى النظرية الجامعة لقوى الفيزياء فإن ذلك يعنى أن النظرية أوجدت نفسها، أم أنها **تحتاج إلى خالق**؟ وهل لهذا الخالق دور آخر فى الكون، سوى كتابة القوانين؟

ثانيًا: تشير مقولة هوكنج «لأن هناك قانونًا كقانون الجاذبية فقد خلق الكون نفسه من عدم» إلى أن **نشأة الكون كانت حتمية** نتيجة لوجود الجاذبية، بالرغم من أنه ليس هناك دليل علمى واحد على هذه الحتمية، فما زلنا لا ندرى لماذا نشأ الكون بدلًا من أن يمتد العدم.

ثالثًا: عندما يتبنى هوكنج أن الكون أنشأ نفسه من عدم، فقد وقع فى مغالطة علمية وعقلية كبيرة. فرأيه يعنى **أن شيئًا لم يوجد بعد قادر على إيجاد ذاته**! إن اللامنطقية تظل لا منطقية حتى وإن صدرت عن عالم عالمى شهير[2].

رابعًا: لم يفسر هوكنج فى كتاباته لماذا يتبع الكون هذا الانتظام الدقيق المعجز الذى وقف عنده أينشتين وغيره من المفكرين الكبار، فقادهم إلى الإيمان بالإله. كان أَولى بهوكنج أن يتأمل حكمة آلان سانداج أبى علم الفلك الحديث حين قال: «أرى **استحالة أن يأتى هذا النظام** من الفوضى، لا بد من منظم. إن الإله بالنسبة لى شديد الغموض، لكنه **التفسير الوحيد لمعجزة الوجود بشقيها**: لماذا هناك شىء بدلًا من لاشىء؟ ولماذا هذا الانتظام المدهش؟

خامسًا: من الأطروحات التى يروج لها هوكنج فى كتابه «التصميم العظيم» أن التوصل **لنظرية التوحيد الكبرى**، التى تجمع قوى الطبيعة الأربع الكبرى فى معادلات رياضية مشتركة،

(1) مفهوم قوانين الفيزياء عالجناه بالتفصيل فى الفصلين الثانى والثالث.

(2) تناولنا فى الفصل الرابع فرضية (النموذج الكمومى للكون» التى يطرحها هوكنج لتفسير نشأة الكون من عدم، وبينا آراء كبار الفيزيائيين والفلكيين تجاه ما فيها من عَوار وتضارب منطقى.

كفيل بتفسير ما فى الكون من دقة متناهية وأن يقضى على الاحتياج لوجود إله خالق. نتفق مع هوكنج فى أن التوصل لمثل هذه النظرية يعنى وجود أقصى درجات الترابط والتصميم فى بنية الكون، أما أن نستنتج من وجود هذه الدقة المتناهية عدم الاحتياج إلى سبب أول فذلك **خبل عقلى**، فالعكس هو الصحيح.

سادسًا: أقر هوكنج بملاءمة بنية الكون لنشأة الحياة (المبدأ البشرى). ولتفسير ذلك يتبنى القول **بالأكوان المتعددة**. وقد فندنا هذا الادعاء فى الفصل الرابع. يدهشنا تمسك هوكنج بفرضية الأكوان المتعددة التى ليست إلا طرح فلسفى ضعيف بعيد كل البعد عن المفاهيم العلمية.

سابعًا: إذا انتقلنا من القوانين والنظريات الرياضية إلى **عالم البيولوجيا**، يفجأنا هوكنج باتباع أسلوب سفسطائى مشهور، وهو أن **يطرح تصوراته الإلحادية المسبقة باعتبارها مقدمات مُسَلَّم بها دون أدنى دليل**! انظر إلى قوله: لا أجد أمامى تفسيرًا لنشأة الذكاء الإنسانى وقدرتنا على التوصل لقوانين الطبيعة ووضع النظريات العلمية إلا **الانتخاب الطبيعى الداروينى، فالاكتشافات العلمية تحقق فرصًا أفضل للحياة.**

قد نقبل من هوكنج هذا الادعاء بخصوص الاكتشافات العلمية التى لها **علاقة مباشرة ببقاء الجنس البشرى**، أما الكثير من **الاكتشافات العلمية الدقيقة** فلا يخضع للانتخاب الطبيعى، ويبين بول ديفيز ذلك قائلًا: «لا شك أن الانتخاب الطبيعى يلعب دورًا هامًا فى بعض مهاراتنا كالقفز فوق مجارى الماء والتقاط الثمار المتساقطة من الأشجار، لكن لا أرى له دورًا فى التوصل إلى **المفاهيم العلمية التى ليس لها علاقة مباشرة ببقاء الجنس البشرى**؛ كإدراك ما يحدث داخل الذرات أو الثقوب السوداء أو نظرية الأوتار، أو **المفاهيم الفلسفية العامة** كالغرض من وجودنا ومنشأنا ومآلنا. إن هذه **أمور لا علاقة للتطور الداروينى بها**». لقد بَسَّطَ هوكنج الأمر بشكل مخل ليدعم تصوراته الإلحادية.

ثامنًا: من مفاجآت هوكنج المثيرة أن يعلن[1] **أن الفلسفة قد ماتت** Philosophy is dead! ويُرجع ذلك إلى عدم مسايرة الفلسفة للاكتشافات العلمية والاستفادة منها خاصة فى مجال

(1) جاء ذلك فى برقية أرسلها إلى Google Zeitgeist Conference فى 17/ 5/ 2011.

الفيزيـاء. لاشـك أن هذا الادعاء مجانب تمامًا للصواب؛ فالفلسـفة ليسـت علـمًا تطبيقيًّا! إنها **أسلوب الإنسان الفطرى فى التفكير** للبحث عن أجوبة للأسئلة الوجودية المحورية، حتى لقد قيل إن البشر كلهم فلاسفة.

ربمـا كان هذا الادعـاء الهوكنجى صائبًا!! إذا كان مقياسـنا للحالة الصحية للفلسـفة هو كتابه (الفلسفى الضعيف جدًّا: التصميم العظيم)! ولكن ـ ولله الحمد ـ ما زال الفلاسفة العظام يملئون عالم الفكر بأفكارهم المبتكرة وتحليلاتهم العميقة واستنتاجاتهم الصائبة. ونختم وقفتنا مع هوكنج بأن نقول؛ **إذا كانت الفلسفة قد ماتت فكتابه «الفلسفى» مجرد أوهام، وإن كانت الفلسفة فى عنفوانها ـ وهذا هو الحق ـ فمقولته خاطئة كاذبة.**

دانييل دينيت[1]

فكرة دارون الخطيرة Darwin's Dangerous Idea[2]

يُعتبر دانييل دينيت من أوائل من شارك فى مهزلة الإلحاد الجديد عام 1995، من خلال كتابه «فكـرة دارون الخطيرة». يشرح دينيت هذه الفكرة الخطـيرة قائلًا: «إن عالم الأحياء بكل ما فيـه من جمال وعجائـب، وما يبدو عليه من تصميم دقيق مدهش بارع، ليس مخلوقًا أو مُصَمَّمًا عـن طريق إله أو أى شىء شـبيه بالإله، لكنـه كان نتاج **انتخاب طبيعى** قـام بغربلة طفرات وراثيـة عشـوائية، إنه **عمليـة ميكانيكية لا واعيـة**، أنتجت من الفوضى هذا الانسـجام دون معونة من عقل»[3]. كذلك تبنى دينيت فى كتابه (مثل باقى التطوريين) أن «**الحياة**» قد نشـأت بالتطور الكيميائى العشوائى الذى يخضع للقوانين الكيميائية والفيزيائية.

لماذا فكرة دارون خطيرة؟

يجيـب دينيت بأن هذه الفكرة تجبرنا عـلى أن نعيد النظر فى كل مفاهيمنا «الطفولية» حول

(1) Daniel Dennett: فيلسوف أمريكى، مهتم بفلسفة العلوم وفلسفة العقل وله عشرة كتب فى هذه المجالات، ولد عام 1942.

(2) Darwin's Dangerous Idea, NewYork: simon & Shuster, 1995.

(3) P. 50.

الحياة والأخلاق والجمال والقيم. إنها **تؤدى فى النهاية إلى أن نتنكر تمامًا للإله**. ويرى دينيت أن هذه الفكرة ستبقى وتسود **(فالبقاء للأصلح)** بينما ستنقرض المفاهيم الدينية، لذلك يقترح أن نحتفظ ببعض المتدينين فى **(حدائق حيوان ثقافية)** حتى تشاهدهم الأجيال القادمة، بشرط ألا يسمموا عقول أبنائهم بأفكارهم عن الإله[1].

ويضيف دينيت: «إن أى إنسان يشك اليوم فى أن تنوع الحياة على كوكبنا قد حدث بالتطور الداروينى فهو ببساطة **جاهل لا يُعذر**»[2]. يالها من مشكلة؛ أإذا قبلت التطور كمفهوم ورفضت العشوائية لاستحالتها العلمية والمنطقية أكون جاهلًا ولا أُعذر؟!

يبدو أن وصف الآخرين بالجهل يعجب الدراونة، فلم يكن دينيت هو السّبَّاق به، فدوكنز كتب عام 1989 فى جريدة النيويورك تايمز يقول: «لا أتجاوز الحقيقة إذا اعتبرت أن من لا يؤمن **بالداروينية إما جاهل، أو غبى، أو مجنون، أو شرير مؤذ**». لقد كان دوكنز أكرم من دينيت إذ أعطانا حق الاختيار بين أربع نقائص، كما لم يرفض التماس العذر لنا، أما دينيت فكان أكثر حزمًا عندما اعتبر أن الجهل لا يُعْذَر. وفى النهاية فإن كليهما يتبنى اللهجة المستعلية الصارمة، فاستحقا الوصف الذى أطلقاه على أنفسهما بأنهما **ملاحدة أصوليون**.

إبطال السحر Breaking the Spell[3]

بعد إحدى عشرة سنة من كتابه السابق، أصدر دينيت كتابه «إبطال السحر» مضيفًا إلى الفكرة الخطيرة السابقة جزئية جديدة، فقال: «إن فكرة الإيجاد دون معونة من عقل تنطبق أيضًا على **منظومتنا الأخلاقية وأحاسيسنا الدينية و إبداعاتنا الفنية واهتماماتنا العلمية. لقد نشأ العقل والذكاء بعد نشأة الكون، ولم يكونا سابقين عليه**».

حجة دينيت Dennett's Argument

ينطلق دينيت فى وصفه للتطور الداروينى بالخطورة من أربعة محاور:

(1) P. 516

(2) P. 46 من كتابه «Breaking the Spell».

(3) Breaking the Spell. NewYork, Penguin 2006.

1- يمكـن إرجـاع كل سـمة من سـمات العالم إلى **آليـة ميكانيكيـة عمياء** لا غايـة لها ولا بصيرة.

2- لا ينبغى أن يشارك الإيمانُ العقلَ كمصدر للمعرفة، حتى فى قضايا الغيب.

3- إن فكرة **وجود الإله المتشخص** فكرة طفولية غير منطقية.

4- إن **الأدلـة التقليدية على الألوهيـة** (دليل الحدوث، التصميم...) غـير صحيحة، ومن ثم ينبغى على من يدعى وجود الإله أن يقدم دليلًا حسيًّا عمليًّا.

وقد سـبق أن قدمنا عبر فصول الكتاب **الأدلة على خطأ فكـرة التطور الداروينى**، وكذلك عـلى **خطـأ المحاور الأربعة لحجـة دينيت**، كما قدمنا الأدلة الحاسـمة على وجـود الإله. لكن افـترض أن كل ما قدمنا من أدلة علمية وفلسـفية **لم يقنع دينيت وغيره من الملاحدة**، هل معنى ذلك أن القول بالإله غير منطقى وضد العقل؟!

يجيب الفيلسوف الأمريكى العظيم ألڤن بلانتنجا عن هذا التساؤل إجابة مفحمة قائلًا:

«عبر تاريخ الفلسفة القديمة والحديثة والمعاصرة كان هناك دائمًا من يرى أنه لا يوجد دليـل مقبول عـلى وجود الآخرين أو وجود الشـخص نفسـه، أو وجود العـالم الخارجى، أو وقـوع الأحـداث الماضية! ومـع ذلك لم يقل أحـد إن اليقين بوجود هذه الأشـياء غير منطقى».

ويضيـف بلانتنجا متحدثًا عـن دينيت: «إن دينيت وغيره ممن يتبنـون المذهب الطبيعى لا يدرون شـيئًا عن **فلسـفة الدين** التى تشـغل ثلث الفلسـفة، ومع ذلك لا يتوقفون عن الخوض فيهـا والهجوم عليها. ينبغى أن يعوا أن الربع الأخير من القرن العشرين قد شـهد **موجات من انحسار الفلسفة المادية لصالح الفلسفة الدينية**».

ويختـم بلانتنجـا خطابه عن دينيـت قائلًا: «لقد فات دينيت أن الإنسـان الأمريكى ما زال يؤمـن بالإله والدين حتى وإن لم يمارس طقوسـه، كما أثبتت الإحصائيات أن أكثر من 85 % من الأمريكيين يرفضون التطور الداروينى، ويعارضون تدريسـه لأولادهم فى المدارس. معنى ذلك أن **فكرة دارون كانت خطيرة على العلم أكثر مما كانت خطيرة على الدين**».

سام هاريس[1]

نهاية الإيمان The End of Faith

يُعتبر كتاب «نهاية الإيمان» الذى أصدره سام هاريس عام 2005 بطاقة عضويته فى نادى شراذمة الإلحاد. ففى الكتاب، يروج هاريس للفكرة التى يرددها الملاحدة كثيرًا حتى أُستهلكت، بالرغم من تراكم الأدلة على كذبها؛ وهى أن **الدين هو سبب معاناة البشرية**. والجديد الذى أضافه هاريس فى عرض الفكرة أنه لا ينبغى فى زمن الحضارة العلمية الوثابة أن نسمح لمن يسعون إلى الجنة عن طريق الاستشهاد فى عمليات دينية إرهابية **بأن يقتلوا فى طريقهم أعدادًا من الأبرياء**. حتى هنا نحن نتفق مع هاريس.

ولكن هاريس، باسم **قُدرة الأمة على التحمل**، يمارس أشد أنواع التطرف، فيتهم **المتدينين المعتدلين بأنهم يوفرون التربة التى ينشأ فيها المتطرفون**، لذلك **يطالب الحكومات بألا تسمح بحرية العقيدة**! باعتبار أن **الأفكار** تُوَلِّد الأفعال، كما يطالب المجتمعات المتحضرة أن **تتوقف عن إظهار الاحترام للديانات**!. وحجة هاريس المحورية وراء هذه الادعاءات، أن التقدم العلمى ينتقل بالإنسان دائمًا إلى مستقبل أكثر إشراقًا، ويظل **الدين هو المجال الوحيد الذى يحمل أفكارًا مُعَوَّقة من الماضى**. لذلك على المجتمعات المتحضرة أن تُخضع هذه الأفكار لنفس المنهج العلمى الذى تُدَرَّس به الفيزياء والكيمياء والطب وغيرها. ويضيف هاريس ساخرًا؛ إن كنا نمارس ضبط النفس تجاه شخص يدعى أن كائنات فضائية ترسل له رسائل عن طريق مجفف الشعر مثلًا، فإننا لا نسمح لهذا الشخص أن ينشئ المدارس **لتعليم صغارنا أفكاره**، كما لا نسمح له أن **يخاطب الناس عن طريق الإعلام**. ويطور هاريس هذا المثال قائلًا: كيف نسمح بأن **يضع سياسات بلادنا والعالم** رجال يعتقدون أن الكتاب الموجود بجوار فراشهم قد أملاه إله غيبى، وأن ما فيه من أفكار غير قابل للنقاش[2].

---

(1) Sam Harris: ولد فى الولايات المتحدة فى أبريل 1967، من أطباء المخ والأعصاب ومفكر وإعلامى وفيلسوف، له عدد من المؤلفات، أكثرها ارتباطًا بالإلحاد الكتابين الذين نقدمهما له.

(2) يقصد بذلك جورج بوش الابن الذى تبنى اتجاه اليمين المتطرف.

إن دعوة هاريس **لدراسة الدين بنفس منهج العلوم الطبيعية والتطبيقية** تعكس جهلًا مخزيًا بمناهج العلوم، فلا شك أن لكل علم من العلوم الإنسانية (ويمكننا تجاوزًا أن نضم الدين إليها) منهجه الخاص فى الدراسة، فنحن لا ندرس التاريخ والجغرافيا وعلم النفس والفلسفة والاقتصاد بنفس منهج العلوم الطبيعة والعلوم التطبيقية. إنها **سقطة لا يقع فيها طالب بالمرحلة الثانوية**.

خطاب إلى أمة مسيحية Letter to a christian Nation

على عكس الكتاب السابق الذى حفل بالإطالة والتكرار، جاء هذا الكتاب فى أقل من مائة صفحة. وعلى غير ما يشير العنوان **يهاجم الكتاب كل معتنقى الديانات خاصة المسلمين**.

يدعى الكتاب أن الدين ليس مسئولًا فقط عن **نشر العنف**، لكنه مسئول أيضًا عن **الجهل والغباء**، ويستشهد على ذلك **بالموقف الرافض لليمين الأمريكى المتطرف من قضايا علمية طُرحت عليه**؛ كالتطور البيولوجى وأبحاث الخلايا الجذعية والإجهاض. ويضيف هاريس ساخرًا؛ إذا كان 50 % من حالات الحمل تُجهَض تلقائيًا فى بداية الحمل دون أن تدرى بها السيدة، فإن الإله يُعتبر أكبر من يقوم بجريمة الإجهاض التى يحاسب عليها الدين! ويستمر هاريس فى سخريته قائلًا إن الصلاة لن تفيد فى حسم هذه القضايا العلمية ولن تشرحها للمصلين.

ويؤكد هاريس أن **المسيحيين** لو قرأوا كتابهم المقدس بعقول منتبهة فلن يقبلوا معظم ما فيه، ولكن من سوء حظ الولايات المتحده هذه الأيام أن القليلين من الأمريكيين لديهم عقول مفتوحة على طلب الحقيقة. ويضيف هاريس: من العجيب أن نسمح بحق الانتخاب لإناس يؤمنون أن نوح اصطحب معه على السفينة زوجين من الديناصورات، وأن جدنا الأكبر قد خُلق من كومة من القاذورات ونَفَس إلهى!

وينسب هاريس إلى **المسلمين** أمورًا تكشف أنه على غير دراية بهذا الدين، فيتساءل: لماذا يعتبر المسلمون أن القرآن كلمات الله **ويرفضون الإقرار بذلك بالنسبة لكتب اليهود والمسيحيين؟** ولماذا يعتبون عليهم لو خالفوهم الاعتقاد؟ ويقول أيضًا: **ما أكبرها كذبة**؛ ادعاء أن الإسلام يدعو للسلام وغير مسئول عن سلوك الإرهابيين الأصوليين.

عرضنا فى الفقرات الثلاثة السابقة ادعاءات هاريس ضد الديانات،والتى **طرحها بسخرية** فى خطابه إلى الأمة المسيحية. **وندفع هذه التفاهات** باختصار بأن نقول:

- ليست الديانات مسئولة عن **ضيق الأفق العلمى لليمين الأمريكى**، المتطرف فى تعصبه للتفسيرات التراثية للعهد القديم.
- تعتبر محاسبة الإله على حالات الإجهاض التلقائى نوع من «**المماثلة**» التى أثبتنا خطأها واستنكرناها عند حديثنا عن مذهب دوكنز الفلسفى.
- يقع هاريس فى سقطة علمية عند حديثه عن **الديناصورات وسفينة نوح**، فالديناصورات انقرضت قبل عصر نوح بثلاثٍ وستين مليون سنة!
- لا يفهم هاريس شيئًا عن **رمزية خلق الإنسان من ثنائية الروح والمادة**، والتى هى جوهر الوجود الإنسانى، فينطلق فى السخرية منها بدلًا من أن يجتهد فى فهمها.
- وأخيرًا نقول: لقد فات هاريس أن المسلمين يُكنون الاحترام لكتب اليهود والمسيحيين المقدسة ويعتبرونها كتبًا سماوية فى الأصل، كما فاته أن الديانات الثلاث تتفق فى معظم عقائدها حتى إن **المسلمين يؤمنون باليهودية والمسيحية**. كذلك لم يطالع هاريس الكثير من آيات القرآن الكريم التى تدعو إلى السلام وتنبذ الحرب والإرهاب. إن اتهامات هاريس للإسلام لا تعكس إلا جهلًا به كما تؤكد أنه يخوض فيما لا يعلم.

أرأيت كم هى غَثَّة أفكار هاريس التى يملأ بها الإعلام ضجيجًا!

كريستوفر هتشنز[1]

الإله ليس عظيمًا: كيف يسمم الدين كل شىء

God is Not Great: How Religion Poisons Every Thing

يعتبر هذا الكتاب الذى صدر عام 2007 أشهر كتب هتشنز وأكثرها ارتباطًا بموضوع الإلحاد. ويدل عنوان الكتاب على أنه يتناول بالهجوم الشقين المتكاملين؛ الإله والدين.

يطرح الكتاب **الدين** باعتباره **مُنتجًا تطوريًّا فرويديًّا غير منطقى غير مُحتَمل، وأنه يُرَوِّج**

(1) Christopher Hitchens: مؤلف وصحفى، بريطانى ـ أمريكى، ولد عام 1949 وتوفى فى ديسمبر 2011 نتيجة لإصابته بسرطان المرىء.

للعنصرية والقبلية والتعصب والإرهاب والحروب واغتصاب الأطفال، كما يُرَوِّج للجهل، بل إنه يمثل الذروة فى التوهم. ويسخر هتشنز فى كتابه من الأسئلة المحورية التى تتصدى لها الديانات والفلسفة. فيجيب مثلًا عن السؤال: لماذا نحن هنا؟ فيقول: لأننا انتصبنا واقفين على قدمين!

والعنوان الرئيس للكتاب «**الإله ليس عظيما**» هو المناقض لشعار المسلمين (**الله أكبر**)، وقصده الأول مهاجمة صدام حسين والإرهابيين المنتسبين للإسلام. ويدعى هتشنز أن **المسلمين يتبنون «نظرية المؤامرة»** فيتهمون الحضارة الغربية بأنها تتعمد تصدير الإيدز وشلل الأطفال والعجز الجنسى وغيرها من الأمراض للدول الإسلامية!. ويؤكد ذلك أن الكتاب لا يتعامل فى نقده مع الدين بقدر ما يتعامل مع التطبيقات السيئة للمتمسحين بالدين.

كما يصرح هتشنز أن **القرآن الكريم** مجرد نقل عن أساطير اليهودية والمسيحية والأساطير السابقة عليهما، ويخرج هتشنز من ذلك بأن القرآن ملىء بالانتحال والاقتباس، وأيضًا المتناقضات!

ونحن نعلق على هذه الادعاءات لهتشنز بأن نقول: لا تعليق!

القارئ الكريم...

وشهد شاهد من أهلها

مايكل شيرمر[1] مفكر وكاتب أمريكى فى مجال فلسفة وتاريخ العلم، كان من المسيحيين الأصوليين، ثم ترك المسيحية وصار يصف نفسه بالإلحاد تارة وبالشك تارة وباللاأدرية تارة ثالثة. أسس «جمعية الشكاكين Skeptics Society» وأصبح رئيسًا لتحرير مجلة «الشَّكاك Skeptic». ولشيرمر مقال ثابت فى «مجلة العلوم الأمريكية Scientific American»، وكان عنوان مقال عدد سبتمبر 2007 «**الإلحاد المنطقى** Rational Atheism: **خطاب مفتوح للسادة دوكنز ودينيت وهاريس وهتشنز**». وجاء المقال كرد فعل لتعصب مجموعة الأربعة تجاه الدين، مبينًا **خطورة هذا التعصب**، وكيف ينبغى على هؤلاء الأربعة (ومن على شاكلتهم) أن يُعَدِّلوا عن أسلوبهم العدائى فى تناول قضية الألوهية والدين، وإليك قارئ الكريم ملخص للمقال:

(1) Michael Shermer: أسس جمعية الشَّكاكين التى أصبحت تضم 55.000 عضو. وتهتم «مجلة الشكاك» بتفنيد الظواهر التى تُنسب ادعاءً إلى العلم. ولد عام 1954.